شَرْحُ العَقيدَةِ الطَّحاوِيَّةِ

الدرس الحادي عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد ...

فمعنا اليوم درس جديد من دروس شرح العقيدة الطحاوية وهو الدرس الحادي عشر.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ؛ كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [الْقِيَامَةِ: ٢٢ - ٢٣]، وَتَفْسِيرُهُ على ما أراده اللَّهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ، لا نَدْخُلُ في ذلكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا؛ فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ)**

هذه الفِقْرة يتكلم فيها المؤلف رحمه الله عن عقيدة مهمة، هذه العقيدة من أعظم أسباب الخلاف بين أهل السنة والجماعة، وأصل البدع من المتكلمين؛ وهي رؤية المؤمنين لربهم بأبصارهم يوم القيامة.

أهل السنة والجماعة يُثبتون هذه العقيدة؛ يقولون بأن المؤمنين سَيَرَون ربهم يوم القيامة بأعيُنِهم، وأهل البدع من الجهمية والمُعتزلة يَنفون هذه الرؤية.

قال المؤلف: **(وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ)** الرؤية ثابتة لأهل الجنة؛ يَرَون ربهم يوم القيامة في الجنة، ويَرَونَه في المَحْشر.

واختلف العلماء في المنافقين والكفار؛ هل يَرَونه في المَحْشَرِ أم لا؟

أما وَهُم في النار؛ فلا، لكن الخِلاف في الكفار والمنافقين في المَحْشَر.

أما أهل الإيمان؛ فيَرَوْنَه في المَحْشَر ويَرَونَهُ في الجنة، ورؤيتُهُ نعيمٌ لأهل الجنة.

وأهل السنة والجماعة أثْبَتوا هذه الحقيقة؛ لِثُبوتِها في الكتاب وفي السنة ولإجماع السلف الصالح رضي الله عنهم عليها، فالأدلة ثابتة في الكتاب وفي السنة وفي الإجماع وقد نَطَقَ بها السلف صراحةً، والأدلة فيها مُحْكَمَةٌ؛ فلا يُخالف في هذه المسألة إلا ضالٌّ مُبْتَدِعٌ صاحب هوى، ترك الأدلة المُحْكَمة وذهب يَتَعَلَّقُ بالمُتَشابهات؛ اتباعاً للهوى.

لهذا أثبت أهل السنة والجماعة هذه العقيدة؛ فقال المؤلف: **(وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ)** عند أهل السنة والجماعة، **(بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ)** أي: وإن كانوا يَرَوْنَهُ؛ إلا أنهم لا يُحيطون به؛ فهو تعالى أعظم من أن يُحيط به العباد قال تبارك وتعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه:١١٠]، كذلك لا يُحيطون به رؤية كما في قوله تبارك وتعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام:١٠٣] أي: لا تُحيط به الأبصار.

وهناك فَرْقٌ بين الإحاطة والرؤية؛ لذلك قال المؤلف: (بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ) يعني: لا يَرَوْنَهُ رؤية يُدْرِكونَه بها من كل وَجْه؛ إحاطة كاملة، لا تدركه الأبصار بهذه الطريقة؛ لكنهم يَرَوْنَهُ؛ فيؤمنون بهذه الآية {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}، ويؤمنون بقول الله تبارك وتعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:٢٢-٢٣] تنظر إلى الله سبحانه وتعالى؛ أي: يَرَوْنَه.

هكذا أهل السنة يؤمنون بالكتاب كلّه، لا يؤمنون ببعضه ويكفرون ببعضه، ولا يَجْعلون بَعْضَه يُخالِفُ بَعْضاً ويُعارِضُ بَعْضاً؛ فكتاب الله تبارك وتعالى وسنة نبيه ﷺ لا تعارضَ بينها، ولا يَقْدَحُ بعضها في بعض؛ بل كُلُّها يُصَدِّق بعضها بعضاً، الخَلل عند أهل البِدَع ومن

يُسَلِّمُ تفسير الكتاب والسنة إلى عقله؛ هذا يَقع عنده الخَلل؛ فالرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة.

(وَلَا كَيْفِيَّةٍ) لا كَيْفيَّة نعلمها، الكَيْفِيَّة موجودة لكننا لا نعلمها؛ فنقول: (بغير إحاطَةٍ ولا كَيْفِيَّةٌ نَعْلَمُها)؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بالرؤية ونحن نَعْلَم أن هذه الرؤية لها كَيْفِيَّة، ولصفاته تبارك وتعالى كَيْفِيَّة؛ ولكن لا نَعْلَمُها.

قوله: **(كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [الْقِيَامَةِ: ٢٢ - ٢٣])**
{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} يعني: بَهِيَّة حَسَنة، {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} تنظر إلى ربها.
هذه آية واضحة وصريحة في المُراد، ويوجد في الكتاب والسنة أدلة صريحة على هذه العقيدة.
ولا يجوز تحريف الأدلة الشرعية- والذي يُسَمونه التأويل- كي تتماشى مع البدع والضلالات، إذا جاءتنا نصوص واضحة وصَريحة في المُراد؛ فالواجب هو التسليم لها، ولا يجوز تحريفها أو ما يُسَمونه تأويلاً.

وكلام العرب وإن كان أحياناً يَحْتَمِلُ معانيَ؛ إلَّا أنّه يكون معه من القَرائِن والسِّياق ما يَمْنَعُ الاحتمالات ولا يُبقي إلا معنى واحداً، وهنا يكون النّص صريحاً في المُراد.

من الممكن أن تأتي وتتفَلْسَف بفلسفاتٍ كثيرة للتأويلات الباطلة- هذا ممكن- في أيِّ كلام يمكن أن تفعل ذلك؛ لذلك تَجِد أهل البِدَع لا يَتَوَقَّفون عن التأويلات والتحريفات لنصوص الكتاب والسنة؛ هذا ممكن بِتَكَلُّف وتَصَنُّع، والكذب على اللغة العربية يمكن أن يَحْصُل، لكن الذي عنده علم؛ يعلم في قرارة نفسه أنه مُبطِلٌ في فعلِه هذا.

قال الذهبي رحمه الله في "تاريخ الإسلام" بعد أن ذَكَرَ كلامًا كُفرِيًّا لِبَعْضِهم، وحاول البعض أن يتأوّل له تأويلات حتى يَلْتَمِس له العُذْر فيما قال؛ كما يفعل كثير من أهل البدع لرؤوسهم اليوم؛ كما يَفْعلون في كلام سيّد قُطُب وغيره، وكما يفعل أهل البِدَع في نصوص الشَرْع في الكتاب والسُّنة؛ يُحاولون تَحْريفها كي تتماشى مع أهوائِهم، تأويلات فاسدة؛ قال: (إن فَتَحنا باب الاعتذارات للاعتذار عن المَقالات، وسَلَكْنا طريقة التأويلات المُسْتَحيلات؛ لم يبقَ في العالم كُفْرٌ ولا ضَلالٌ، وبَطَلَت كُتُبُ المِلَل والنِّحَل واختلاف الفِرَق).

هذا لأجل تأويل الكلمات الواضحات التي يكون فيها كُفْرٌ صَريح ويتأوّلونها عن معانيها، كذلك الأمر في تأويل النصوص الحق والتي تدل على العقيدة الحق؛ تُتَأوّل تأويلات كهذه التأويلات المستحيلات.

وقال في مثل هذا ابن أبي العِز الحَنَفي؛ قال في آية {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}: (وهي من أظهر الأدلة، وأما من أبى إلا تحريفها بما يُسميه تأويلًا؛ فتأويل نصوص المَعاد والجَنة والنار والحِساب أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مُبْطِلٌ أن يتأول النصوص ويُحَرِّفَها عن مَواضِعِها؛ إلا وَجَدَ من السبيل ما وَجَدَه مُتَأوِّل هذه النصوص؛ وهذا الذي أفسد الدنيا والدين؛ وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحَذَرَنا الله أن نفعل مِثْلَهُم، وأبى المُبطِلون إلَّا سلوك سبيلِهِم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جِناية، فهل قُتِلَ عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد، وكذا ما جرى في يوم الجَمَل وصِفّين ومَقْتَل الحُسَين والحرّة، وهل خرجت الخوارج واعتزلت المُعتزِلة ورَفَضَتْ الرَوافض وافْتَرَقَت الأمة على ثلاثٍ وسبعين فِرقة إلا بالتأويل الفاسد).

هذا ما قاله ابن أبي العِز وقد أحْسَن في مسألة التأويل الفاسد؛ التَّسَلُّط على نصوص الشريعة بالتأويلات الفاسدة المُبْطِلة؛ فانظر إلى التأويلات أين تَصِل.

التأويل لا يكون حقًّا إلا في مَوضِعِه الجائز شرعاً فقط، تأويل كلام أهل الباطل لالتماس الأعذار لأهل الباطل: باطل؛ كما قال الذهبي- وقد تَقَدَّمَ نَقْل كلامه في ذلك-، وتأويل النصوص الشرعية الحق التي تَدُلُّ على العَقائِد الصحيحة لِصَرفِها عن معانيها الصحيحة؛ باطل، هذه التأويلات لا تكون تأويلات صحيحة؛ لأنها تكون بعيدة كل البُعْد عن الصَّواب؛ لوضوح المَقالات وصراحَتِها في المُراد.

هذا الكلام عن التأويل والحَذَر من التأويل والدفاع عن الباطل بالتأويلات، أو رَد الحق بالتأويلات؛ نوعان:

تأويل لرَدّ الحق؛ وهو الذي نحن فيه، وتأويل للدفاع عن الباطل أو عن أهله؛ وهو ما ذكره الذهبي رحمه الله؛ وكُلُّه باطل.

الخلاصة والتي أردناها؛ أنك إذا أردت أن تَتَأول وأن تُحَرِّف في الكلام فيمكن ذلك؛ ستَجِد إلى ذلك سبيلًا، حتى لو كان بالتَّكَلُّف، وحتى لو كُنت أنت في قَرارة نفسك تعلم أنك مُبْطِل للتلبيس؛ لكنّ الحق عليه نور؛ لا يَخْفى على مُريدِهِ.

فهذه الآية التي معنا واضحة وصَريحة في المُراد، يمكن أن يُحَرِّفها أهل الباطل وأن يَتَعَلَّقوا بشيء؟

نعم يمكن؟ كيف؟

بالنَظَر، الفعل (نَظَرَ)؛ يأتي في لغة العرب على وجوه؛ فَتَعَلَّقوا بهذا، لكن لا مُتَعَلَّق لهم به؛ لأن السِّياق الذي يأتي به يَدلُّ على المُراد منه، ويَتَعَيَّن المُراد مع القرائِن.

(النَظَر) يأتي متعَدِياً بنفسه؛ فيكون بمعنى الانتظار؛ {هل يَنْظُرون إلا تأويله} أي: (هل يَنْتَظِرون إلا تأويله) هنا لا يوجد حرف جر جاء بعده، وتعدّى بنفسه؛ فكان معناه الانتظار.

ويأتي مُتَعَدِياً بحرف جر (في)؛ فيكون معناه التَّفكُّر: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف:١٨٥]؛ يَتَفَكَّروا فيها.

ويأتي مُتَعَدِيًا بـ (إلى)؛ فيُراد به نَظَرُ العين {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ} [ق:٦]، {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية:١٧]؛ النَظَر بالعين.

والنظر عندنا هنا تعَدّى بـ(إلى): {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} هو مُتَعَدٍ بـ(إلى)، تَنْظُر الوجوه إلى ربها.

وهناك قَرينة ثانية في الآية تَدُلّ على أنّ المُراد نَظَرَ العين لا نَظَرَ القلب- كما يقول أهل البِدَع-؛ قال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} الوجوه مَحَل النظر لا القلب؛ إذن فهو نَظَر عين لا نظر قلب؛ هذه قرينة ثانية.

فمع هذا السِّياق وهذه القرينة؛ لا يُمكن حَمْلُ الكلام على غير هذا المعنى؛ فالآية واضحة وصَريحة في المُراد، يَدْعَمُها ويُقَويها الأدلة الأخرى التي تأتي في هذا الباب؛ منها قول الله تبارك وتعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس:٢٦] (الحُسْنى) هي الجنة

و(الزِّيادة) هي النظر إلى وَجْه الله تبارك وتعالى؛ هكذا فَسَّرها النبي ﷺ وفَسَّرها الصحابة رضي الله عنهم والحديث في "صحيح مسلم".

والدليل الثالث من القرآن أيضاً قال الله تبارك وتعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥]؛ استدل بهذا الدليل: الإمام الشافعي؛ فقال: (لمّا حُجِبَ هؤلاء في حال السُّخْط؛ كان هذا دليلًا على أن أولياءه يَرَونه في الرِّضى)؛ استدلالٌ قوي.

وأمّا الأحاديث في هذا؛ فكثيرة مُتواترة، لم تَرِد عن صحابي ولا اثنين ولا ثلاثة ولا أربعة؛ بل جَمْعٌ من الصحابة؛ قال بعض أهل العِلْم: بَلَغَ نحو ثلاثين صحابيّاً، رووا هذه الأحاديث التي فيها الرؤية؛ فهي مُتواترة؛ منها: حديث أبي هريرة أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ".

هذا حديث أبي هريرة، وورد من حديث أبي سعيد، ومن حديث جرير بن عبد الله؛ وكُلُّها في "الصحيحين"، وغيرها من الأحاديث؛ كُلُّها تدل على رؤية المؤمنين ربَّهُم يوم القيامة.

واستدل أهل البِدَع بأدلة في هذه الرؤية منها: قول الله تبارك وتعالى: {لَنْ تَرَانِي} [الأعراف:١٤٣]، وقوله تبارك وتعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام:١٠٣].
{لَنْ تَرَانِي} هذه قالها الله تبارك وتعالى لموسى لمّا طلب من الله تبارك وتعالى أن يراه؛ فقال له: {لَنْ تَرَانِي}، هذا في الدنيا وليس في الآخرة.

قال أهل العِلم: وهذا لأنّ البَشَرَ لا قُدرة لهم في الدنيا على رؤية الله تبارك وتعالى؛ لِضَعْف قُوى البَشَر، واسْتَدَلوا على هذا بقول الله تبارك وتعالى: {وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} [الأعراف:١٤٣]؛ فالجبل مع قُوّتِهِ وصَلابَته لا يَثْبُت للتجلّي في هذه الدار؛ فكيف بالبشر الذي خُلِقَ من ضَعْف، أما يوم القيامة؛ فيُمَكِّنهم الله سبحانه وتعالى من ذلك.

واستدل أهل العِلْم بهذه الآية على أنّ الرؤية يوم القيامة مُمكنة أصلًا، لا كما يقوله أهل البِدَع بأنها غير مُمْكِنة؛ قالوا: لأنّ الله سبحانه وتعالى لم يُنْكِر على موسى هذا الطّلَب من أصْلِه؛ قالوا: لو كان غير مُمْكن؛ لأنكره عليه؛ كما أنكَرَ على نوح سؤاله نجاة ابنه.

وأما قول الله تبارك وتعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} فقد فَسَّرنا معناه؛ وهو الإحاطة، والإحاطة غير الرؤية؛ فلا حُجَة لهم في ذلك، ونحن نُثْبِت الرؤية لا نُثْبِت الإحاطة وبينهما فَرْق.

وفي الحديث تشبيه الرؤية بالرؤية؛ إنكم سترَون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضامُّون في رؤيته، هذا تشبيه للرؤية بالرؤية، وليس تشبيهاً للمرئي بالمرئي.

لكن في الرؤية وإثبات الرؤية دليل على عُلُو الله على خلقه، فالخَلْقُ يَرَوْنَهُ في العُلُو تبارك وتعالى؛ لذلك نفى الأشاعرة رؤية الله إلى جِهَة؛ وهذا ضَلال الأشاعرة؛ أثبتوا الرؤية ولكنهم نَفَوا الجهة؛ فقالوا: لا يُرى في جهة مُعينة لا أمام ولا خَلف ولا فوق ولا تحت ولا شيء؛ فضَحِكَ منهم العُقَلاء، وتَسَلَّط عليهم المُعتزلة وغَلَبوهم؛ فقالوا: كيف تُعقَل رؤية بلا مُقابلة بغير جِهة، فهذا الكلام باطل، فلا يَدْعَمُهُ الشرع ولا العقل.

ففي ذلك إثبات للعلو أيضاً؛ فنرى الله في العلو؛ هذه عقيدتنا.

الكلام حول مسألة الرؤية طويل، وقد تكلَّم الشارح ابن أبي العز الحنفي رحمه الله بكلامٍ جميل وطيِّب وحَسَن وأنصح الجميع بقراءته؛ فهو مُفيد، ليس فقط في باب رؤية الله يوم القيامة؛ بل حتى في طريقة الرَّد على أهل البدَع في غير هذا الباب؛ فكلامه نفيس ويُنْصَح بقراءته.

وأما رؤية النبي ﷺ لله في الدنيا عندما أُسرِيَ به؛ فهذه المسألة فيها خِلاف، والراجِح أنه لم يرَه.

وقد سأله أبو ذَر؛ فقال له:" نورٌ أنى أراه "، وقد نَفَت عائشة رضي الله عنها وغير واحد من الصحابة والتابعين وغيرهم أن يكون النبي ﷺ رأى رَبَه؛ وهذا هو الأصل الثابت: أنّ الله تبارك وتعالى لا يراه أحد في الدنيا، أمّا في الآخرة يوم القيامة؛ فيَرَوْنه.

قوله: **(وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فَهُوَ كَمَا قَالَ)** كما قال النبي ﷺ، كل ما جاء من الأحاديث النبوية فيها إثبات الرؤية؛ فنحن نُثْبت الرؤية كما قال عليه الصلاة والسلام.

قوله: **(وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ)** على ما أراد النبي ﷺ، ومعناها واضح وصَريح.

قوله: **(لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا)** كما فعل الجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلة.

(وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا) نَتَّبِع هوانا في ذلك بأوهامٍ وضلالات، لا؛ بل نُؤمن ونُسَلِّم بما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

وقد تقدَّم معنا معنى التأويل، وهذا التأويل المنفي هو التأويل الباطل.

والتأويل الباطل هو صَرْف اللفظ عن ظاهره لغير دليل؛ هذا تأويل باطل، وحقيقة يُسمى تحريفاً، أما التأويل بمعنى التفسير أو التأويل بمعنى ما يؤول إليه الأمر- أي ما يَصير إليه الأمر-؛ فهذا صحيح وحق، وليس هذا بابه، وقد تقدّم الكلام في هذا.

قوله: **(فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله ﷺ وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ)** فنؤمن بما جاء عن الله وعن رسول الله ﷺ على مُراد الله وعلى مُراد رسوله ﷺ، نُسَلِّم ونَنْقاد، نُصَدِّق ونُخْلِص العبادة لله سبحانه وتعالى، وما أَشْكَلَ علينا ولم نستطع فهمه؛ فنَكِلُ عِلمَه إلى الله تبارك وتعالى؛ فهُناك أمور استأثر الله سبحانه وتعالى بِعِلْمها؛ كحقائق ما أَخْبَرَ الله تعالى عن نفسه من أسماء وصفات وحقائق اليوم الآخر؛ فهذا مما يَخْفى علينا؛ فنَكِلُ عِلْمَه إلى الله تبارك وتعالى.

وكلام المؤلف فيه وجوب التسليم والانقياد لأمر الله تعالى ولحُكْمه، وعدم مُعارضته بالعقل وبالهوى؛ وهذا كُلُّه حق، والاستدلال عليه تقدَّم.

قال المؤلف: **(وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التسليم والاستسلام)**
الإسلام الصحيح لا بُدَّ فيه من التسليم لله سبحانه وتعالى {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥].

والاستسلام: هو الانقياد والطاعة لما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ.

قال: (فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ؛ حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خالِصِ التَّوْحيدِ، وصافي المَعْرِفَةِ، وصَحيحِ الإيمانِ؛ فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ والإنكار؛ مُوَسْوَساً تائِهاً شاكّاً، لا مُؤْمِناً مُصَدِّقاً، ولا جاحِداً مُكَذِّباً)

قوله: **(فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ)** يعني هناك من العلوم ما حَجَبَه الله عن الناس؛ مثل عِلْمِ الكيفية؛ فهذا لا نطلبه ولا نتكلم فيه، كما قال السلف: لا يُقال للأصل لِمَ ولا كيف؛ تُسَلِّم لأمر الله سبحانه تعالى ولا تَبْحَث عن أشياء لم تُبَيَّن لك.

قوله: **(وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ)** يعني: يُريد أن يَفْهم ما لم يُخبره الله سبحانه وتعالى به، ولمْ يقتنع بأن يُسَلِّم لأمر الله سبحانه وتعالى؛ فمن كان هذا حاله: **(حَجَبَهُ مَرَامُهُ)** أي: مُبْتَغاه **(عَنْ خالص التوحيد)**، مُبتغاه لعلم ما حُظِرَ عنه حَجَبَهُ عن خالص التوحيد، **(وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان)** قد قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء:٣٦]

قوله: **(فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ وَالْإِقْرَارِ والإنكار)** هذا من لم يُسَلِّم لله ولا إلى الرسول، ويَبْحَث عن أشياء حُجِبَت عنه؛ فمثل هذا يقع تائهاً حائراً مُضطرباً، مثل المُنافقين الذين يكونون مُذَبذَبين مُضْطَرِبين، لا يكون على عقيدة راسخة ثابتة؛ إذ إنه لا يعرف طريق الانقياد والاستسلام لأمر الله سبحانه وتعالى، إنما أدخل نفسه في متاهات، وهذا الوصف ينطبق تماماً على المُتَكَلّمين وعلى الفلاسفة الذين يتكلمون في كل شيء وخاصّة في أمور الرب تبارك وتعالى، من أسماء وصفات وذات وغير ذلك من الأشياء التي حَجَبها الله سبحانه وتعالى عنهم؛ فيَقَعون في حيرة وضلال وتَذَبْذُب، وما

عندَهم يقين في أنفسهم؛ يتكلفونه تكَلُّفًا، فيَتْذبذَبون بين الكُفر والإيمان والتَصديق والتكذيب والإقرار والإنكار؛ هذا وصفهم.

أما أهل الإيمان فما عرفوه ووجدوه في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ؛ آمنوا وسَلَّموا وانقادوا له وصَدَّقوه وفَهِموه على فَهْمِ سلفنا الصالح رضي الله عنهم، وعلى مُراد الله وعلى مُراد رسوله ﷺ وانتهى الأمر عندهم- لا يوجد عندهم إشكال-، ويَبْقَون في يقين من أمرهم والحمد لله، ولا يَقَعون في مُخالفة أمر الله سبحانه وتعالى؛ الأوامر التي نهاهم أن يقولوا فيها ما لا يعلمون.

قوله: **(موسوسًا تائهًا شاكًا زائغًا لا مؤمنًا مصدقًا ولا جاحدًا مكذبًا)** هذا وصفه حقيقةً، هذا وصف لأهل التردد والنِّفاق، هم دائمًا في شك وتردد وتّذبْذُب؛ لأنهم لم يأخذوا بالتسليم والانقياد الذي أُمِروا به.

يُريد المؤلف أن يقول لك: سَلِّم لأمر الله، انْقَد، ما جاءك الخبر به؛ فصَدِّقهُ وسَلِّم له، وما حُجِبَ عنك من العِلم؛ فاسكت عنه ولا تبحث عنه، واشغل نفسك بما أمرك الله به؛ بتعلمه والعمل به، ولا تكن كالفلاسفة والمُتَكَلِّمين وأهل البدع والضلال؛ الذين تكلموا بكلام لا أثارة عليه من علم، من بيِّنة، من أدلة؛ وإنما هي الأهواء. والله المُستعان. والحمد لله.